

يوزان موسيغ و حروب حنبعل . دراسات نقدية للمصادر القديمة
Yozan Mosig and the Wars of Hannibal: Critical Studies of Ancient Sources

مجاني عز الدين جامعة ابن خلدون –تيارت- Azzeddine.medjani@univ-tiaret.dz

تاريخ الارسال: 2025-11-17 تاريخ القبول: 2026-01-18 تاريخ النشر: 01 جوان 2026

ملخص:

يعدّ الباحث (Yozan Mosig) وهو أستاذ علم النفس في جامعة نبراسكا-كارني في الولايات المتحدة الأمريكية، أحد أبرز الباحثين في تاريخ الحروب البونيقية وشخصية حنبعل ، حيث كرّس أكثر من عشرين عامًا لدراسة شخصية حنبعل وحملاته العسكرية حيث وظّف مجال إختصاصه في قراءات تاريخية نقدية. يعتبر حاليا من أشهر نقّاد المصادر القديمة و على وجه الخصوص روايات الحروب البونيقية ذات الميولات نحو تمجيد روما و قادتها ، و نحن في أمسّ الحاجة على إعادة قراءة تاريخنا بموضوعية و جدية لا تتوقف على مسؤولية المؤرخ فقط بل يجب أن تكون في إطار متعدد التخصصات لكي تضمن مصداقية و منهجا علميا دقيقا. يعتمد موسيغ على مكتبة شخصية تحتوي على أكثر من 10,000 مادة تاريخية، ليقدم إعادة تقييم شاملة لحملات حنبعل، واستراتيجياته السياسية، والسرديات التاريخية حول قرطاج. سأحاول من خلال هذه المداخلة عرض أهم الدراسات و الرؤى النقدية للباحث حول حروب حنبعل و إستراتيجياتها (التكتيكات العسكرية والحرب النفسية)، حول شخصيته و ميولاتها (قيادة حنبعل ووطنيته) و حول الإطار العام للبيئة القرطاجية و ما تناقلته المصادر (وجهة النظر القرطاجية والتحيّز التاريخي).

الكلمات المفتاحية: حنبعل، قرطاج، بوليبيوس، روما، يوزان موسيغ.

Abstract:

Yozan Mosig is one of the most prominent scholars of the history of the Punic Wars and the figure of Hannibal. He has devoted more than twenty years to studying the figure of Hannibal and his military campaigns, employing his field of expertise in critical historical readings. He is currently considered one of the most prominent critics of ancient sources, particularly accounts of the Punic Wars, which tend to glorify Rome and its leaders. Drawing on a personal library of more than 10,000 historical materials, Mosig offers a comprehensive re-evaluation of Hannibal's campaigns, political strategies, and historical narratives about Carthage. Through this intervention, I will try to present the most important studies and critical visions of the researcher on Hannibal's wars, on his personality and tendencies

Key words: Hannibal, Carthage, Polybius, Rome, Yozan Mosig

1. مقدمة:

يُوزان ديرك موسيغ (Yozan Dirk Mosig) مواليد 1943 و هو عالم نفس ومؤرخ وناقد أدبي، اشتهر بأعماله النقدية حول الكاتب الأمريكي هوارد فيليبس لافكرافت (Howard Phillips Lovecraft). وُلد في ألمانيا وعاش لعدة سنوات في الأرجنتين قبل أن يهاجر إلى الولايات المتحدة. حصل على درجة الدكتوراه (Ph.D) من جامعة فلوريدا عام 1974. نشر بين عامي 1973 و1978 العديد من المقالات المهمة التي قيّمت أعمال لافكرافت. أما مقالاته الرائدة والمتكررة النشر "لافكرافت: صانع الأسطورة (1976)"، فتستعرض فلسفة الرعب عند لافكرافت، وتنتقد التفسير المشوّه لدورة الأسطورة من قبل أوغست ديرليث، مع التركيز على رؤية لافكرافت لكونٍ لأخلاقي لا يحتل فيه الإنسان سوى مكانة ضئيلة. على مدار أكثر من أربعين عامًا، درّس موسيغ مقررات مختلفة في علم النفس، سواء في مرحلة الليسانس أو الدراسات العليا، في جامعة نبراسكا في كيرني، حيث شارك أيضًا في أبحاث حول الحروب البونيقية ومسيرة القائد القرطاجي حنبعل. ويشغل الآن رتبة أستاذ فخري في الجامعة.

أبدى الباحث إهتماما بدراسة التاريخ القديم و إستعمل تخصصه في نقد الروايات و المصادر التاريخية و هو حاليا و منذ عشرين سنة منكبّ حول دراسة شخصية حنبعل و تاريخ روما خاصة في فترة الحروب البونية. يقول الباحث موزيق عن نفسه أنه مؤرخ نفسي بالأساس، يحاول فهم دوافع الشخصيات التاريخية. ليس فقط حنبعل والقادة الرومان خلال الحروب بين قرطاجة وروما، بل أيضا المؤرخين الذين كتبوا القصة، وخاصة بوليبيوس وليفي (تيتوس ليفيوس)، فهما المصدران الرئيسيان لدينا. تاريخ حنبعل وارد في كتابات بوليبيوس وليفي. يوزان موزيق لا يكرر القصص القديمة فحسب، بل يُعيد تفكيكها وتحليلها. يستخدم فهمًا عميقًا لعلم النفس وتحليلًا تاريخيًا صارمًا للتشكيك في الحقائق المقبولة حول استراتيجيات حنبعل، وقراراته في ساحة المعركة، والسرد الروماني الذي بناه المؤرخون القدامى. وتشير أعماله إلى أن الكثير مما نظنه حقائق—خصوصاً عن معركتي كاناي وزاما—قد يكون في الحقيقة مملوءاً بالدعاية والتشويه المتعمد

يقول الباحث عن بوليبيوس أن سبب كتابته كان شرحه لمواطنيه اليونانيين سبب نجاح الرومان في السيطرة على منطقة البحر الأبيض المتوسط. كان بوليبيوس صديقًا مقربًا لسكيبيو إميليانو، القائد المسؤول عن تدمير قرطاج عام ١٤٦ قبل الميلاد. وكان يعمل لدى عائلة إميليانو. ونتيجةً لذلك، كلما كتب عن عشيرة إميليانو/سكيبيو، لا بد من التساؤل عما إذا كان موضوعيًا تمامًا، أم أنه كان يُجمل الأمور لإرضاء صديقه وأرباب عمله؟¹

المصدر الرئيسي الآخر هو تيتوس ليفيوس، أو ليفي، الذي اعترف بنفسه بأنه كان يكتب أساسًا لغرس الوطنية في شباب عصر أغسطس. ونتيجةً لذلك، جعل أفعال الرومان أكثر إثارةً للإعجاب، وسمح

¹ في نسخة مُحَرَّرة من عرض تقديمي أُلقي في بارليتا، إيطاليا، بمناسبة الذكرى 2230 لانتصار حنبعل الأعظم،

في 2 أغسطس/آب 2014، بدعوة من اللجنة الإيطالية لحرب كاني

لنفسه باختلاق شتى أنواع الحكايات والخطب لإضفاء الحيوية على روايته، وهي أحداثٌ من الواضح أنه لم يكن ليشهدّها أو يسجلها، وغالبًا ما لا يوجد لها مصدر آخر. وبالتالي، علينا أن نأخذ ما قاله بحذر. على سبيل المثال، عندما يُخبر جمهوره بما يُزعم أن هانيبال قاله لجنوده، أو لسكيبيو، عدوه، نعلم أنه على الأرجح استخدم خياله وكتب خطاباتٍ خيالية. وقد استخدم كلٌّ من بوليبيوس وليفي بعض المصادر السابقة، مثل سيلينوس أو سيليوس أنتيباتر، لكنها أغلبها مفقود، لذا لا سبيل لدينا للتحقق من المصادر السابقة لمعرفة مدى دقة اتباع بوليبيوس وليفي لها، وإلى أي مدى غيّرهما أو عدّلاهما بما يتناسب مع أجندتهما². فما هي أبرز كتاباته حول حنبعل و الحروب البونية؟ ما هي قراءاته النقدية حول ما كتب عن الجنرال القرطاجي؟

2. روما ومؤرخي البلاط خلال الحروب البونية

اشتهرت الجمهورية الرومانية بتركيزها على القوانين والشرعية، ويُصوّر المؤرخون الرومان المدينة على أنها تتبع سيادة القانون. ويرى الباحث موزيق أن المؤرخين يُريدوننا أن نُصدّق أن روما كانت دائمًا على حق، وأنها لم تُخض الحروب إلا لقضية عادلة، لصد عدوان الآخرين، أو للدفاع عن حلفائها الذين اتفقت على حمايتهم³. فيما يلي دراسة لواقع هذا الإدعاء في ضوء الوقائع التاريخية. عندها يقول الباحث سنرى أن روما هي التي بدأت الحروب البونيقية الثلاث المزعومة بذريعة أو بأخرى، وليس لأغراض خيرية.

الحرب البونية الأولى (264-241 ق.م) يتضح جليًا أن الغزو الروماني لصقليا لم يكن بدافعٍ إثاري، إذ إنه في الوقت الذي احتل فيه الماميرتينيون ميسانا في البداية، كانت عصابةٌ مماثلة من الجنود السفاحين قد استولت على ريجيوم الواقعة على الجانب الآخر من المضيق الذي يفصل إيطاليا عن صقلية و قد سارع الرومان في عقاب المتمردين على الجانب الإيطالي بشدة وبالتالي، فإن أي ادعاء من جانب الرومان باهتمامهم بحماية عصابة مماثلة في ميسانا أمر مثير للسخرية على حدّ قوله. من الواضح أن الجشع التوسعي كان وراء اندلاع أعمال عدائية استمرت 23 عامًا وحصدت أرواح مئات الآلاف

بالنسبة للحرب البونيقية الثانية، فقد حاول مؤرخون مؤيدون للرومان، مثل بوليبيوس وليفي، إلقاء اللوم فيها على أفعال القائد القرطاجي هانيبال برقا، الذي يعتقد البعض أنه كان مدفوعًا بالرغبة في

² <https://thehistoryherald.com/articles/ancient-history-civilisation/hannibal-and-the-punic-wars/new-perspectives-on-the-battle-of-cannae/> Septembre 21, 2015 Vu le 19.07.2025 15h36

³ <https://thehistoryherald.com/articles/ancient-history-civilisation/hannibal-and-the-punic-wars/the-punic-wars-kriegsschuldfrage-and-the-question-of-the-just-war/> May 24, 2013 , vu le 21. 07. 2025 à 14 :46

الانتقام من الظلم الذي ارتكب بحق قرطاج، بالإضافة إلى كراهيته الأبدية لروما. (سيكون للباحث رأي حول مزاعم "الكراهية الأبدية" سنشير إليه لاحقاً).

الحقيقة هي أن هملقار قاد قوة استكشافية إلى إسبانيا لتأمين الموارد التي ستحتاجها قرطاج لسداد التعويضات المستحقة لروما. وقد نجح في مساعيه، ووسّع نفوذ قرطاج في أيبيريا حتى وفاته في كمين عام 228، حيث ضحى بنفسه لإنقاذ أرواح أبنائه. وكان خليفته صهره، صديربعل، الذي واصل التوسع القرطاجي، بالوسائل الدبلوماسية في الغالب، حتى اغتياله عام 221. وفي عهده، أرسل الرومان وفدًا لإبرام معاهدة إيبرو (الموقعة عام 226 أو 225). و التي بموجبها، وافق القرطاجيون على قبول حدود نهر إيبرو، التي كان عليهم ألا يعبروها بالسلاح. من المثير للاهتمام أن المؤرخين الرومان لم يُطلعونا على مسؤوليات روما بموجب المعاهدة، مع أنه من الواضح أنه كان هناك نوع من المقايضة: لم يكن على روما التدخل جنوب نهر إيبرو. وعليه فقد انتهك الرومان معاهدة إيبرو ضمناً بتشكيل تحالف مع مدينة ساغونتوم، جنوب نهر إيبرو، وبالتالي ضمن الأراضي القرطاجية. لا يوجد دليل على وجود مثل هذا التحالف قبل توقيع المعاهدة. ليس هذا فحسب، بل شجعت روما الساغونتيين على ذبح الثوار القرطاجيين في مدينتهم والاعتداء على قبيلة التبوليتي، وهي قبيلة تحت الحماية القرطاجية. ردّ هانيبال، الذي انتُخب بالتركية قائدًا عامًا جديدًا للقوات القرطاجية في إسبانيا بعد وفاة صهره، بالزحف على ساغونتوم واقتحامها، بعد حصار دام ثمانية أشهر. خلال تلك الأشهر الثمانية، أرسل الساغونتيون طلبات متكررة للمساعدة إلى روما، دون جدوى - لم تتحقق أي مساعدة. انتظر الرومان سقوط ساغونتوم، ثم أرسلوا وفدًا إلى قرطاج للمطالبة بتسليم حنبعل إليهم للعقاب. وبعد رفض الجمعية القرطاجية، أعلنت روما الحرب على قرطاج⁴.

لا شك أن الرومان الوطنيين، مثل ليفي، كانوا يكرهون الرجل الذي كاد يُخضع روما، مُذلاًّ الفيالق الرومانية المتغترسة بهزيمتها مرارًا وتكرارًا على مدار ستة عشر عامًا من الحرب، وكاد أن ينجح في وقف توسع روما الإمبريالي خارج شبه الجزيرة الإيطالية. وقد برزت كراهية الرومان لهانيبال بسهولة في صورة افتراض مفاده أن هانيبال، وليس الرومان، هو من كان مدفوعًا بالكراهية. لم يكن هذا مجرد آلية دفاع نفسية لا وعية من جانب ليفي وغيره من المؤرخين المؤيدين للرومان، بل كان جزءًا من حملة تضليل مُدبرة بعناية تهدف إلى تحميل حنبعل مسؤولية بدء الصراع، حيث صُوّر "عدوانه"، الذي تجلّى، كما يُزعم، في حصار ساغونتوم وغزوها، على أنه نابع من كراهيته الشديدة للمدينة ونهر التيبير وسكانها. إلا أن الفحص الدقيق للأدلة المتوفرة يُلقي بالمسؤولية عن بدء ما يُسمى بالحروب البونيقية الثلاث على أبواب روما.

3. حول حياة حنبعل

⁴ <https://thehistoryherald.com/articles/ancient-history-civilisation/hannibal-and-the-punic-wars/the-punic-wars-kriegsschuldfrage-and-the-question-of-the-just-war/> May 24, 2013 , vu le 21. 07. 2025 à 14 :46

كان حنبعل (247-183 ق.م) أعظم قائد عسكري برز من عائلة برقيا القرطاجية وهو ابن هملقار برقيا البطل العظيم الذي لم يُهزم في الحرب البونيقية الأولى وحرب المرتزقة. بعد ضم الرومان لسردينيا، تولى هملقار قيادة التوسع القرطاجي في إسبانيا. طلب ابنه الأكبر، حنبعل، وكان في التاسعة من عمره آنذاك، مرافقته. وسَّع حملقار أراضي قرطاجة حتى وفاته في كمين (عام 228 قبل الميلاد) حيث ضحى بنفسه لإنقاذ حياة أبنائه الثلاثة، حنبعل، وصدربعل، وماجوو.

كان خليفة حملقار هو صهره، صدربعل، وهو دبلوماسي ومفاوض ماهر، واصل التوسع القرطاجي وأسس قرطاجة חדشت أو "المدينة الجديدة"، (أطلق عليها الرومان اسم قرطاج الجديدة، قرطاجنة اليوم). خلال حكمه، في عام 226 أو 225 قبل الميلاد، أرسل الرومان وفدًا لإبرام المعاهدة التي وافقت بموجبها قرطاجة على عدم عبور حدود نهر إيبرو بالسلاح. اغتيل صدربعل في عام 221، وبعد ذلك انتُخب حنبعل البالغ من العمر 26 عامًا بالتزكية القائد العام الجديد للقوات القرطاجية. بينما أصبح شقيقاه صدربعل وماجوو أيضًا جنرالات أكفاء، وهزموا لاحقًا جيشين رومانيين في إسبانيا (في عام 211 قبل الميلاد).

يقول عنه الباحث موسيغ " أثارت شخصية هانيبال الكاريزمية وطبيعته الإعجاب والإخلاص لدى جنوده، الذين رأوا فيه حملقارًا جديدًا. كان رجلًا متعلمًا، يجيد اليونانية واللاتينية ولغات أخرى عديدة، وشارك رجاله في محنتهم، يأكل نفس الطعام، بل وينام على الأرض بينهم، ملفوفًا فقط بعباءته العسكرية. كان قادرًا على تحمل قسوة الحر والبرد، وكان لا يكل. خاطر مع رجاله، وأظهر شجاعة كبيرة. خلال جميع حملاته العسكرية، بما في ذلك العام السادس عشر في إيطاليا، عندما اضطر جيشه للعيش من الأرض ولم يكن لديه الوسائل لدفع مرتزقته، اتبعه رجاله دون تردد، ولم يشهد أي تمرد أو عصيان..."⁵.

جاءت أولى تجارب حنبعل العسكرية خلال العامين (220-221 قبل الميلاد) اللذين قضاها في توسيع وتوطيد السيطرة القرطاجية في شمال غرب إسبانيا. في حملته الأولى، هزم الأولكاديين، واستولى على عاصمتهم، وفي العام التالي خاض معارك ضد الفاكايين، واستولى على مدينة هيرمانديكا. عند عودته، هاجمه اتحاد سلتيبيري من الأولكاديين والفاكايين والكاربتانيين، مواجهًا جيشًا قوامه 100,000 جندي في وسط إسبانيا. هنا، أظهر حنبعل عبقريته لأول مرة، محققًا نصرًا غير متوقع. تراجع بجيشه الأصغر بكثير عبر نهر تاجوس، واتخذ موقعًا دفاعيًا، واستدرج خصومه لعبور النهر لمطاردتهم. بمجرد أن وصلوا إلى منتصف النهر، قضت عليهم فرسانه بينما داست الأفيال من تمكن من الوصول إلى ضفة النهر. ثم هاجم الجيش الرئيسي، مبددًا العدو في جميع الاتجاهات

⁵ <https://thehistoryherald.com/articles/ancient-history-civilisation/hannibal-and-the-punic-wars/hannibal-barca-a-biographical-sketch/> October 1, 2015 vu le 19.07.2025. à 21 : 26

بعد الهجوم الروماني على الثوار القرطاجيين في ساغونتوم، وعدوان الساغونتينيين على التوربولتيين، حلفاء قرطاجة، زحف حنبعل نحو المدينة واستولى عليها بعد حصار دام ثمانية أشهر. ورغم المناشدات المتكررة، فشل الساغونتينيون في الحصول على أي مساعدة من روما. وعندما سقطت المدينة عام 219 قبل الميلاد، أرسل الرومان وفدًا إلى شمال إفريقيا يطالبون بتسليم حنبعل لهم. وبعد رفض الجمعية القرطاجية، أعلنت روما الحرب على قرطاجة.

كان تفكير حنبعل الاستراتيجي سليمًا، حيث أنه سينقل الحرب إلى إيطاليا عبر أكثر الطرق غير المتوقعة - مباشرة عبر جبال الألب الوعرة. كان هدفه تحرير شعوب إيطاليا المضطهدة، بما في ذلك المدن اليونانية جنوب شبه الجزيرة. لم يكن ينوي تدمير روما، بل حصر الرومان في نطاق نفوذهم حول نهر التير، كما يتضح من نص المعاهدة التي وقّعها مع الملك فيليب الخامس ملك مقدونيا عام 215 قبل الميلاد. كادت خطته أن تنجح، إذ انضم عدد من حلفاء روما إليه، وفي مرحلة ما، رفضت 12 مستعمرة لاتينية تابعة لروما الاستمرار في إمدادها بالقوى العاملة. كان من الممكن حسب الباحث أن يريح حنبعل الحرب لو حصل على التعزيزات اللازمة من قرطاج، لكن قادة المدينة أرسلوها بتهور إلى إسبانيا للدفاع عن مناجم الفضة، بدلاً من إيطاليا، حيث كانت المعارك الرئيسية ستخاض. وكان هذا الخطأ في التقدير هو ما أدى إلى هزيمتهم في النهاية⁶.

لا جدال في عبقرية هانيبال التكتيكية العليا، على الرغم من أن مداها غالبًا ما لا يُدرك. في عام 218 قبل الميلاد، وبعد عبور جبال الألب في صراع ملحمي، ووصل مع 20000 من المشاة و6000 فارس فقط، هزم الرومان (الذين كانت لديهم قوة بشرية محتملة تبلغ 700000) أولاً عند نهر تيسينوس ثم عند تريبيا، وسحق الجيش المشترك الأكبر بكثير من القناصل و تم إغراء سيمبرونيوس المندفع للهجوم في الصباح الباكر عبر النهر المتجمد وتم تقطيع جيشه إلى أشلاء بواسطة مزيج من المشاة والفرسان والفيلة، بالإضافة إلى كمين من الخلف بقيادة ماجو. وبالمنااسبة، يقول الباحث أن هذا هو الانتصار الوحيد الشهير لهانيبال الذي شاركت فيه الأفيال. من بين 37 فيلاً رافقت هانيبال عبر جبال الألب، نجا واحد فقط من الشتاء.

في بحيرة تراسيمي، عام 217 قبل الميلاد، نجح حنبعل في إخفاء جيشه بالكامل تقريبًا في كمين، ودمر فيالق القنصل غايوس فلامينيوس، وهو ضابط عسكري متمرس سبق أن قاد حملة ناجحة ضد الغال. لكن أهم تكتيك عسكري لحنبعل في ساحة المعركة كانت معركة كاناي، عام 216 قبل الميلاد، حيث واجه أكبر جيش روماني تم تجميعه على الإطلاق، والذي تألف من 80,000 جندي مشاة وفرقة من

⁶ <https://thehistoryherald.com/articles/ancient-history-civilisation/hannibal-and-the-punic-wars/hannibal-barca-a-biographical-sketch/> October 1, 2015 vu le 19.07.2025. à 21 : 26

سلاح الفرسان، والتي تقدر الأبحاث الحديثة عددها بـ 12,000 جندي⁷، مع جيشه الخاص المكون من 40,000 جندي مشاة و10,000 فارس. دارت المعركة في سهل حيث لا يمكن إخفاء الكمائن، لكن حنبعل تمكن من نصب فخ مميت على مرأى من الجميع. وقد أدى الحصار الكامل للجيش الروماني إلى مقتل 70,000 شخص في ساحة المعركة، وفقًا لبوليبيوس. خسر حنبعل 5000 جندي⁸، معظمهم من القوات الإسبانية والغالية الأضعف في مركز تشكيله، حيث كان هو وشقيقه ماجو يقودانه، وكان انتشارهم أساسيًا لتحقيق النصر. كثيرًا ما يُنتقد لعدم زحفه مباشرةً نحو روما بعد المعركة، إلا أن العلماء المعاصرين يخلصون إلى أن قرار حنبعل لم يكن خطأً استراتيجيًا⁹.

يعتقد موسيغ أن الادعاءات التي تفيد بأن حنبعل لم يفز بأي معارك أخرى بعد كاناي لأن الرومان خاضوا حرب استنزاف متجنبيين الاشتباكات الكبرى، وأن جيشه قد ضعف بسبب الشتاء بين ترف كابوا، غير صحيحة. لقد حقق هانيبال المزيد من الانتصارات في كل مرة أصبح فيها أحد القادة الرومانيين متغطرًا بما يكفي ليعتقد أنه يستطيع مواجهة البارسيديين. على سبيل المثال، في عام 212 قبل الميلاد، هزم القنصلين كيو. فولفيوس فلاكوس وأبيوس كلوديوس في كابوا، على الرغم من فرار الجيش الروماني. في العام نفسه، كان المنتصر في سيلاروس، حيث دمر جيش البريتور م. سينتينيوس بينولا في كامبانيا، وفي معركة هيردونيا الأولى، حيث قضى على قوات غنايوس فولفيوس في بوليا، مع خسائر مماثلة لتلك التي حدثت في بحيرة تراسيمي. في عام 210 قبل الميلاد، وقعت معركة هيردونيا الثانية، حيث دمر هانيبال جيش فولفيوس سينتومالوس، الذي قُتل. وكان هناك المزيد. ظل هانيبال دون هزيمة طوال 16 عامًا قضاها في إيطاليا¹⁰.

بعد انتهاء الحرب الثانية مع روما، شغل هانيبال منصب قاضي قرطاجي (سوفيقي)، وتمكن من القضاء على الفساد وإنعاش اقتصاد المدينة المنهار. وخلال سنوات نفيه التي تلت ذلك، عاون أنطيوخس الثالث ملك سوريا، وأرتاكسياس ملك أرمينيا، وبروسياس ملك بيثينيا، وظل وفيًا لمبادئه، رافضًا بشدة أن يصبح تابعًا لروما. وصف البعض هانيبال بأنه آخر أبطال العالم الحر في العصور القديمة. بعد وفاته

⁷ Seibert, J. Hannibal. Darmstadt, Germany: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1993.

⁸ Polybius (Patton translation). The Histories (Loeb Classical Library). Harvard.

⁹ <https://thehistoryherald.com/articles/ancient-history-civilisation/hannibal-and-the-punic-wars/hannibal-barca-a-biographical-sketch/October 1, 2015> vu le 19.07.2025. à 21 : 26

¹⁰ <https://thehistoryherald.com/articles/ancient-history-civilisation/hannibal-and-the-punic-wars/hannibal-barca-a-biographical-sketch/October 1, 2015> vu le 19.07.2025. à 21 : 26

عام 183 قبل الميلاد، بعد أن تجرع السم لمنع الرومان من أسره بعد أن خانته الملك بروسياس ملك بيثينيا، لم يستطع أي شيء أن يقف في طريق توسع ما سيصبح الإمبراطورية الرومانية المفتتة¹¹. إن كراهية حنبعل لروما معروفة جدا لدرجة أنها أصبحت مضرِبًا للمثل، وتكثر الإشارات إليها في الأدب. هل هناك أي أساس واقعي لهذه الصورة النمطية عن حنبعل؟ تخبرنا المصادر الكلاسيكية (بوليبوس وليفي) أنه عندما كان والد حنبعل، القائد القرطاجي حملقار برقا، يُجهز حملته إلى شبه الجزيرة الأيبيرية، طلب حنبعل، البالغ من العمر تسع سنوات، أن يُسمح له بمرافقته. تقول الرواية إن حملقار طلب من ابنه أن يضع يده على الحيوان المُقدّم على المذبح لبعل، وأقسم له ألا يكون صديقا لروما (بوليبوس)¹². تغير رواية ليفي هذا إلى "عدو روما للأبد"¹³، ورغم أنه قبل لاحقا صياغة بوليبوس، إلا أن الضرر قد وقع. وبالتالي الكراهية الأبدية.

لكن من أين جاءت قصة قسم هانيبال في طفولته؟ يذكر بوليبوس أن حنبعل، الذي كان آنذاك في الرابعة والخمسين من عمره، وكان منفياً في بلاط أنطيوخس الثالث، كان بحاجة إلى إقناع الملك بجدارة أمانته كعدو لروما، فسرّد قصة قسم شبابه لتبديد أي شكوك أثارها اجتماعه السابق المزعوم مع المندوب الروماني بوليبوس فيليبوس توبولوس عام 193 قبل الميلاد. ليس من الواضح كيف وصلت هذه الحكاية إلى بوليبوس، أو ما إذا كانت صحيحة أصلاً. أما رواية ليفي، التي تغيّر عبارة "ليس صديقاً" إلى "عدو"، فتستند بوضوح إلى رواية بوليبوس، كما يتضح من عودة ليفي إلى صياغة بوليبوس الأصلية عند تكرار الحادثة. اتبع آخرون رواية ليفيوس التي تمزج بين العداوة والكراهية وتشكلت صورة الرجل المرعب المليء بالكراهية من قرطاجة¹⁴.

ليست صحة القصة موضع شك فحسب، بل يجب أيضاً دراسة معنى رواية بوليبان، "ألا يكون صديقا لروما"، في سياق أهمية التعبيرات الرومانية في ذلك الوقت. لا تحمل كلمة "صديق" لروما نفس معنى كلمة "صديق" في الاستخدام الحديث، لأن كلمة "صديق" تعني أيضا "عميلاً"، وبالتالي تابعاً لروما. المدينة أو الدولة التي كانت صديقة (صديق) لروما لم تكن فقط غير عدوانية، بل كانت في الواقع تابعة لروما. لو سلّمنا للحظة أن الحكاية ليست خيالية، لكان معنى قَسَم هانيبال بأنه لن يكون "صديقاً" لروما على الأرجح أنه وعد بعدم قبول الخضوع لروما أو الخضوع للهيمنة الرومانية. وهذا بعيد كل البعد عن "الكراهية الأبدية"، في الواقع.

¹¹ <https://thehistoryherald.com/articles/ancient-history-civilisation/hannibal-and-the-punic-wars/hannibal-barca-a-biographical-sketch/> October 1, 2015 vu le 19.07.2025. à 21 : 26

¹² Polybius (Paton, trans.) The Histories (Loeb Classical Library). Harvard.

¹³ Livy (Foster, trans.). History of Rome: Books 21-22

¹⁴ thehistoryherald.com/articles/ancient-history-civilisation/hannibal-and-the-punic-wars/a-matter-of-hatred-the-myth-of-hannibal-s-oath/ March 24, 2013 vu le 21.07. 16H20

إن عادة حنبعل المعترف بها على نطاق واسع في تكريم القادة الرومان الذين سقطوا في ساحة المعركة تناقض أيضا فكرة أنه كان مدفوعا بكراهية العدو. فقد سعى باستمرار إلى جثث القادة أو القادة القتلى لمنحهم شرف جنازة عسكرية، مظهرا احتراما عميقا لمن هزمهم. وعندما لم يعثر على جثة القنصل غايوس فلامينيوس، الذي قتل على يد محارب غالي في معركة بحيرة تراسيمي، شعر حنبعل بالضيق. ومن الجدير بالذكر أن الرومان لم يظهروا احتراما مماثلاً للقتلى القرطاجيين، وعندما سقط شقيق حنبعل، صديقه، في معركة ميتوروس، أهان الرومان جثته وألقوا برأسه المقطوع على معسكر حنبعل. فمن إذن كان دافعه الكراهية حقا؟¹⁵

يمكن العثور على دليل آخر على أن حنبعل لم يكن مسكونا بالكراهية في المعاهدة مع الملك فيليب الخامس المقدوني. تكشف الوثيقة التي أعدها هانيبال لتحالفه المقترح بين قرطاج ومقدونيا، عام 215 قبل الميلاد (سجلها بوليبيوس، 7:9)¹⁶، من جهة، أن حنبعل كان متعلما تعليما عاليا، ويحترم التقاليد الدينية، ويدرك جيدا الدبلوماسية والبروتوكول، ومن جهة أخرى، أن خطته ونواياه لم تتضمن تدمير روما. يتضح من هذه الوثيقة أنه كان ينوي فقط كبح جماح الإمبريالية العسكرية التوسعية لروما، وحصر الرومان في منطقتهم الجغرافية الخاصة في وسط شبه الجزيرة الإيطالية.

4. تقيص شخصية حنبعل وأوامره خلال معركة كناي:

قام الباحث موسيغ بتصوّر الحديث الذي دار بينه وبين قادة الفرق والأجنحة العسكرية التي شاركت معه في المعركة و كان الحديث على شكل أوامر لتطبيق تكتيك عسكري جعل من المعركة أشهر معارك العالم القديم. أدى التنفيذ المثالي لأوامر هانيبال من قبل جميع ضباطه وجنوده، بدقة متناهية، إلى ما قد يكون أعظم نصر عسكري في التاريخ المسجل. فقد أكثر من 70,000 روماني حياتهم في ذلك اليوم المشؤوم، وبلغت خسائر هانيبال حوالي 5,000، معظمهم من الغال في مركز تشكيله. اعتُبرت هذه الوحدات الأقل موثوقية، لكنها كانت تحت قيادته الشخصية مباشرة، ولم تنهار رغم الضغط اليائس للقوة الرومانية الجبارة. ، هذا التصور الذي أبدع فيه الباحث بأسلوب بلاغي رائع جاء بعد دراسة علمية وتاريخية للمعركة و أطوارها و التي سأنقلها كما كتبها الباحث في إحدى مقالاته¹⁷:

" في صباح الثاني من أغسطس عام 216 قبل الميلاد، انتشر الجيش القرطاجي بقيادة حنبعل في سهل كناي، على ضفاف نهر أوفيديوس، في مواجهة الجيش الروماني الضخم بقيادة القنصلين أميليوس

¹⁵ <https://thehistoryherald.com/articles/ancient-history-civilisation/hannibal-and-the-punic-wars/a-matter-of-hatred-the-myth-of-hannibal-s-oath/> March 24, 2013 vu le 21.07. 16H20

¹⁶ Polybius (Paton, trans.) The Histories (Loeb Classical Library). Harvard.

¹⁷ <https://thehistoryherald.com/articles/ancient-history-civilisation/hannibal-and-the-punic-wars/understanding-cannae-hannibal-s-orders/> October 27, 2015, Vu le : 17.07 . 2025 à 23H. Mosig, Y. and I. Belhassen. "Revision and reconstruction in the Punic Wars: Cannae revisited" in The International Journal of the Humanities, 4:2, 2006, pp. 103-110.

باولوس وتيرينتيوس فارو. كيف حدث هذا؟ ما هي أوامر حنبعل لقادة مختلف أقسام جيشه متعدد الأعراق قبل بدء المعركة؟ لا نعلم، ولكن يُمكننا التكهن.

إلى صدر بعل، قائد الفرسان الغاليين والإيبيريين الثقيلين: "يجب عليك تدمير سلاح الفرسان الروماني بين أوفيدوس والجناح الأيمن للمشاة الرومانية، بأقصى سرعة. يقود القنصل أميليوس باولوس نفسه الفرسان، لكنك تتفوق عليهم عدداً بنسبة 2 إلى 1. بمجرد سحق فرسانهم، لا تطارد الناجين الهاربين، بل امتط جوادك بأقصى سرعة ممكنة خلف ساحة المعركة وانقض على فرسان الحلفاء في الجناح الأيسر الروماني. سيكون النوميديون قد سيطروا عليهم حتى وصولك. بمجرد هزيمتهم، دع مهمة المطاردة لفرسان هانو ومهربعل. يجب عليك العودة مرة أخرى بالفرس الثقيل، والهبوط على مؤخرة الجيش الروماني دون تأخير. من الضروري أن تنفذ هذه الأوامر بدقة وبأسرع وقت ممكن." "نعم، يا جنرال!"

إلى هانو ومهربعل، قائدي فرسان نوميديا: "بمجرد بدء المعركة، يجب عليكما الانتشار لمواجهة فرسان الحلفاء، مع أنهم يفوقونكم عدداً بكثير. لا تهاجموهم، بل استخدموا أساليب الالتفاف والكر والفر التي تجيدونها، لإبقائهم مشوشين ومتمركزين. هذا ضروري لنجاح خطتي القتالية. لن تضطروا للانتظار طويلاً حتى يأتي صدر بعل وفرسانه راكبين كالريح خلف ساحة المعركة لمساعدتكم. إذا هوجمتم من جهتين، سينكسر فرسان الحلفاء، لأنهم لا يتمتعون بانضباط الرومان. لاحقوهم واقضوا عليهم وهم يحاولون الفرار. هل فهمتم؟" "نعم، يا قائدنا!"

إلى قادة قوات المشاة الأيبيرية والغالية المنتشرة في الوسط، بإشراف ماجو باركا: "سيتقدم مركزكم في الوسط حتى تشكلوا نصف دائرة. عندما يهاجم الرومان، لن يصطدم إلا مركز تشكيلهم، بينما سينحرف من هم على الجانبين نحو الوسط. قاتلوا بشراسة، ولكن ببطء وتدرجياً، حتى يواصل الرومان في الوسط التقدم، ضائنين أنهم يدفعونكم للخلف، أملين أن تنكسروا، وهو ما لن يحدث. سأكون هناك، معكم، في الوسط، لا تخذلوني. تدرجياً، سيحول مركزكم المنسحب تشكيلكم إلى كيس يغرق فيه الرومان، ظانين أنهم ينتصرون. عندما أعطي الإشارة، توقفوا عن التراجع وقاتلوا كالأسود لوقف تقدم الرومان. لا تقلقوا، سيكون الأمر سهلاً، لأنه بحلول ذلك الوقت سيتعرضون للهجوم من الجانبين ومن الخلف، مما سيضغط على تشكيلهم أكثر، حتى لا يجدوا حتى مساحة كافية لحمل أسلحتهم. النصر حليفنا. من الضروري تنفيذ أوامري على أكمل وجه. رسالة. هل فهمت؟" "نعم، يا جنرالنا!"

إلى قادة مشاة النخبة الأفارقة، الذين يرتدون الدروع والأسلحة الرومانية التي استولوا عليها العام الماضي بعد انتصار بحيرة تراسيمي: "ستبقون في الخلف عند بدء المعركة، لأنكم احتياطيون، وستنقضون كالمطارق على أجنحة الرومان في اللحظة المناسبة. سيتدحرج نصفكم ويهاجم الجناح الأيسر للرومان، والنصف الآخر الجناح الأيمن للرومان. سيُربكهم مظهركم حتى فوات الأوان. ادفعوهم بالرمح والسيوف، حتى يُضغَط جيشهم حتى يُشَلَّ حركته. ستكونون كمخالب أسد لا تُقهر، تسحقونهم من الجانبين. هل فهمتم؟" "نعم، يا جنرالنا!"

إلى قادة رماة الرماة البلياريين المصطفين كمنافسين أمام بقية الجيش: "يفيد مراقبونا أن الرومان لديهم بضع مئات من الرماة هذه المرة، ربما كريتيون. أنتم تتفوقون عليهم في المدى، كما أنكم أكثر دقة من أي رامٍ بصواريحكم. في اللحظة التي تلاحظون فيها تقدمهم، أطلقوا عاصفة من الحجارة والمعادن وأسقطوا أكبر عدد ممكن منهم. اضربوا أيضًا الرماة، ولكن ركزوا بعد ذلك على الجناح الأيمن الروماني، حيث سيكون القنصل القائد. اقضوا عليه إن استطعتم! أنتم أساسيون في انتصارنا اليوم! هل تفهمون؟" "نعم، يا قائدنا!"

كانت معركة كاناي مثالًا مثاليًا على الالتحام المزدوج، ولا تزال تُدرّس في الأكاديميات العسكرية حول العالم. وقد حلفت مرات عديدة، مع أن أحدًا لم يستطع أبدًا أن يُضاهي أو يفوق براعة هانيبال الخالد في ميدان المعركة التي أظهرها قبل أكثر من 2230 عامًا.

5. حنبعل والحرب البونية الثالثة

تألّقت عبقرية حنبعل حتى في المعركة الأخيرة، التي يُفترض أنه خسرها، في زاما، عام 202 قبل الميلاد، ضد بوبليوس كورنيليوس سكيبو الأصغر. تشير المعلومات الواردة في المصادر الكلاسيكية إلى أنه كان يفوز في تلك المعركة أيضًا، على الرغم من امتلاكه جيشًا أضعف وافتقاره إلى قوات الفرسان التي كانت لديه في إيطاليا، حيث تمكن من جذب خيالة العدو المتفوقة من ساحة المعركة وكان بصدد سحق المشاة الرومانية عندما عاد ماسينيوس وفرسانه إلى الميدان لقلب الأمور لصالح الرومان. أثارت الأبحاث الحديثة التي أجراها عبد العزيز بلخوجة وآخرون عددًا من التساؤلات حول صحة هذه المعركة الأخيرة والمعاهدة التي يُزعم أنها أنهت الحرب البونية الثانية¹⁸. تشير الأدلة الأثرية التي تم اكتشافها مؤخرًا إلى أن معركة زاما هي من اختراع المؤرخين الموالين للرومان الذين كتبوا بعد تدمير قرطاج في عام 146 قبل الميلاد، وأن حنبعل في الواقع لم يُهزم أبدًا على يد الرومان¹⁹.

يجب هنا أن نشير إلى أن موقع مدينة زاما ليس نفسه موقع المعركة وإنما يكون قريبًا منها، حيث يبقى الميدان الذي شهد أكبر إنتصارات روما مجهولاً وهو من المفترض أن يكون مقدسًا ومعلوماً خلال فترة التواجد الروماني في المنطقة، فعلى عكس مواقع الهزيمة خلال الحرب البونية الثانية، يبقى ميدان الإنتصار الوحيد مجهولاً ولم يعثر على آثار التشريفات الرومانية لهذا الموقع²⁰. يحاول علماء الآثار منذ

¹⁸ Belkhodja, A. Hannibal Barca: L'histoire veritable. Tunis: Apollonia, 2012.

Belkhodja, A. Hannibal Barca: L'histoire veritable et le mensonge de Zama. Tunis: Apollonia, 2014. Belkhodja, A. Zama, l'introuvable bataille. Tunis: Apollonia, 2015.

¹⁹ <https://thehistoryherald.com/articles/ancient-history-civilisation/hannibal-and-the-punic-wars/the-trouble-with-zama-paradox-smoke-and-mirrors-in-an-ancient-battlefield/> December 19, 2012 Vu le : 24.07.2025 à 13h41

²⁰ Belkhoudja (A.), Hannibal Barca, l'histoire véritable et le mensonge de Zama, éd. Apollonia, Tunis, p. 186.

حوالي قرن من الزمن تحديد موقع مدينة زاما²¹ بما في ذلك طبعا ميدان الحرب الذي كان مسرحا لمعركة حنبعل ضد سكيبيو وحلفاءه النوميديين، حيث ساد الاعتقاد ولفترة زمنية معتبرة أن المدينة تقع في ما يسمى حاليا منطقة سيدي عمور الجديدي غير بعيد عن قصر لمسة في تونس (شمال غرب مدينة القيروان) وهذا من خلال نص نقائشي معروف عثر في المنطقة ذكر المدينة بعبارة (Colonia Zamensis)²² ولكن سرعان ما تلاشت هذه الفرضية بعد إكتشاف حديث لنقيشة أخرى تؤكد أن آثار موقع سيدي عمور تعود لمدينة (Civitas civalitana)²³.

بعدها تمّ التعرف على اسم المدينة في نقيشة أخرى عثر عليها في نواحي قصر طوال زامل (تونس) حيث جاء فيها ذكر لمدينة (Zama regia)²⁴ و لكن بعد حفريّة أقيمت خصيصا لتأكيد النقيشة تمّ العثور على نقائش ترجع الموقع إلى أصل مدينة أخرى هي (Vicus Maraticanus)²⁵ لتعود الشكوك تحوم من جديد على موقع جاما شمال موقع مكثّر والذي يحمل دلالات كثيرة من شأنها أن تجعل من فرضية كونه نفسه موقع مدينة زاما المفقودة فرضية قويّة²⁶، ولكن بمقارنة الدلائل الأثرية والتوصيفات التي جاءت في المصادر التاريخية يبدو أن هذا الموقع لا يتناسب من ناحية التضاريس لمدينة زاما التي ذكرها بوليبيوس و سالوستيوس²⁷ ولا حتى لموقع المدينة على طاولة بوتنغر.

على ضوء هذه المشكلات الأثرية و التاريخية يري الباحثين موسيغ وبلحسن أنّ نصر معركة زاما قد يكون إختراعا رومانيا بعد خمسة عشر سنة من الإذلال العسكري الذي تلقته على يد حنبعل²⁸ ولقد خلاصا في قراءة تاريخية مقارنة لأحداث معركتي كاناي وزاما أنّهما تصبان في مبدأ المعاملة بالمثل مما جعل

²¹ عن هؤلاء ينظر إلى : Benchaouch (A.), « Zama. », In: Bulletin de la Société Nationale : doi : des Antiquaires de France, 1995, 1997. pp. 42-43; <https://doi.org/10.3406/bsnaf.1997.9969>

²² C.I.L., VIII, 12018.

²³ Benchaouch (A.), op.cit. , pp. 42-43.

²⁴ I.L Tun. 572, 574.

²⁵ Déroche (L.), « Les fouilles de Ksar Toual Zammel et la question de Zama (Vicus Maracitanus). », In: Mélanges d'archéologie et d'histoire, tome 60, 1948. pp. 55-104; A. E., 1949, 108 و 109.

²⁶ Ferjaoui (A.), « Localisation de Zama Regia à Jama (note d'information) », In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 146^e année, N. 3, 2002. pp. 1003-1017;

²⁷ Gsell (S.), H.A.A.N., t3, pp. 260-261

²⁸ Mozig (Y.) et Belhassen (I.) , « revision and reconstruction in the seconde Punic war : Zama, whose victory ? », in the International Journal of Humanities, 2007, pp. 175-186.

بوليبوس يلهث وراء رواية تردّ الإعتبار للجيش الروماني وقادته وتهين بالمثل الجيش القرطاجي و حنبعل.²⁹

كثيرة هي إنعكاسات حرب زاما التي تؤكد أنّ المعاهدة التي كانت بين الطرفين باطلة وأنّ المعاهدة الحقيقية إنّما لم تكن بين منتصر ومنهزم³⁰. لقد قدّم ليفيوس هذه البنود كاملة والتي أخذها من دون شك من بوليبوس³¹ وأكثر ما يلفت الإنتباه هو البند الرابع الذي قضى بتسليم قرطاجة لبحريتها العسكرية مع الحق بالإحتفاظ بعشرة مراكب فقط، وهذا يدخل ضمن تقليص القدرات الحربية لقرطاجة، هذا البند غير منطقي في ظلّ ما قامت به البعثة البريطانية من حفريات³² لمحاولة تأريخ الميناء العسكري لقرطاجة والذي تبين لها أنه يعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد بمعنى أنه بني ما بين 202 و 146 ق.م أي بعد حرب زاما³³، وهو الميناء الذي لم تذكره المصادر قبل هذا التاريخ، حيث تمّ وصفه لاحقا من مصادر متأخرة³⁴، كما دلت أبحاث أثرية كثيرة عن كون الميناء العسكري بني بوقت كبير بعد الميناء التجاري أين تمّ فتح قناتين تصلان الميناءين³⁵.

6. إنتصارات حنبعل

فاز حنبعل، طوال مسيرته العسكرية، بما لا يقل عن 21 معركة، أي أكثر بسبع مرات من المعارك الثلاث التي تنسب إليه عادةً في معظم كتب التاريخ المدرسية! حقق انتصاره الأول في إسبانيا في كارتيا، في العام نفسه الذي انتخب فيه قائدا عاما للجيش القرطاجي وهو في السادسة والعشرين من عمره، أما انتصاره الأخير، في معركة بحرية، فقد تحقق عام 184، قبل عام من انتحاره وهزيمته الأخيرة للرومان - وكان هذا انتصاره الثاني والعشرين³⁶

²⁹ حول هذه الحرب ومشكلاتها التاريخية و الأثرية ينظر : عزالدين مجاني، رؤى نقدية حول روايات بوليبوس و ليفيوس لمعركة زاما، مجلة العبر للدراسات التاريخية و الأثرية في شمال إفريقيا، مج 07، ع1، جانفي 2024، صص 24-42

³⁰ Belkhouja (A.), Hannibal Barca, l'histoire véritable et le mensonge de Zama, éd. Apollonia, Tunis, 2012, p. 202.

³¹ Tite-Live, XXX, 30, 7.

³² Hurst (H.) et Stager (L.E.), 1978 : H. Hurst, L.E. Stager, « A Metropolitan Landscape : The Late punic Port of Carthage », in : World Archaeology, 9.3, pp. 334-346.

³³ Carayon (N.), Les ports phéniciens et puniques géomorphologie et infrastructures, thèse de doctorat en sciences de l'antiquité – archéologie dirigée par m. le professeur Thierry petit, volume i , université Strasbourg ii – marc bloch u.f.r. des sciences historiques, 2008, p. 417 .

³⁴ Appien, Lib., 127 ; Strabon, XVII, 3, 14 ; Diodore, III, 44, 7-8 ;

³⁵ ; Hurst (H.), 1992, « L'îlot de l'Amirauté, le port circulaire et l'avenue Bourguiba », dans ENNABLI (dir.), pp. 79-94. p. 85 ; Hurst et Stager, 1978, p. 334-337

³⁶ <https://thehistoryherald.com/articles/ancient-history-civilisation/hannibal-and-the-punic-wars/hannibal-victories-of-the-great-hero-from-ancient-carthage/> December 19, 2018, vu le 22.07.2025 à 16h48

فيما يلي قائمة بانتصارات هانيبال المعروفة (قد يكون هناك المزيد، على سبيل المثال، يمكننا إضافة انتصاره على الغال الجبليين أثناء عبور جبال الألب عام ٢١٨)، بالإضافة إلى تواريخ حدوثها (بالسنوات قبل الميلاد) والتي أعدها البهحث موسيغ:

المعارك	العام
CARTEIA	221 ,
TAGUS و ARBOCALA	220
SAGUNTUM	219
TICINUS و TREBIA	218
FALERNUS و TRASIMENE و GERONIUM	217
CANNAE	216
HERDONEA و CAPUA و SILARUS	212
HERDONEA و NUMISTRO و ASCULUM	210
CANUSIUM	209
CANUSIUM	209
CROTON	204
معركة بحرية EURYMEDON	190
معركة بحرية EUMENES	184

تجدر الإشارة إلى أن معركة يوريميدون البحرية وقعت بين أسطول رودس وأسطول أنطيوخس الثالث السوري. مُنح حنبعل قيادة الميسرة السورية فقط، التي انتصرت، بينما هُزمت الميمنة السورية بقيادة أبولونيوس. أُجبر الأسطول السوري على الفرار نتيجة انهيار جانبه الأيمن، ويرى بعض المؤرخين خطأً أن هذا هزيمة لحنبعل، متجاهلين حقيقة أن حنبعل كان منتصراً في الميسرة ولم تكن لديه قيادة شاملة للأسطول. كانت المعركة البحرية ضد أسطول الملك يومينس حوالي عام 184 هي المواجهة التي ألقى فيها حنبعل أواني فخارية مملوءة بثعابين سامة أو قذفها بالمقلاع على سفن العدو، مما أدى إلى هزيمة قوة معادية أكبر بكثير فرت في حالة من الفوضى. ربما كانت هذه أول حالة حرب بيولوجية في التاريخ.

يعتقد موسيغ أن حنبعل لم يهزم قط، على الرغم من ادعاءات الدعاة الرومان بعكس ذلك. بخلاف قادة التاريخ العظام، من الإسكندر الأكبر إلى نابليون، لم يخض هانيبال حرباً سعيًا وراء مكاسب شخصية أو إثراء لنفسه، ولم يسعَ إلى السلطة أو المجد، أو يسعى إلى أن يصبح حاكمًا أو ديكتاتورًا. كان نضاله المتفاني من أجل بقاء قرطاج وتحرير الشعوب المستعبدة. إن نزاهته الأخلاقية وشجاعته

التي لا تعرف الهزيمة وعبقريته الفائقة تجعله مصدر إلهام ومثالا يُحتذى به للأجيال القادمة في سجلات التاريخ العالمي.

7. الإسكندر الأكبر وحنبل برقا: مقارنة

يبدى الباحث موسيغ إمتعاضا من المقارنة الشائعة بين حنبل و الإسكندر حيث يرى أن حنبل يفوقه إنسانية و حتى تكتيكيا ولقد أشار إلى أنه غالبًا ما يُقارن الإسكندر الأكبر وحنبل ويخلص المؤلفون إلى أن الفاتح المقدوني كان متفوقًا على القائد القرطاجي، على الرغم من أن الإسكندر لم يُقاتل أو يهزم آلة حرب منظمة تُضاهي الرومان. وقد تحققت انتصارات الإسكندر الكبرى ضد جيوش يقودها ملك خارت قواه، فهرب من ساحة المعركة فور شعوره بالخطر (مما أدى إلى هزيمة جيشه، الذي انقلب هو الآخر). من غير المعقول يقول الباحث أن نتخيل جيشًا رومانيا يجبر قنصله أو قائده على الفرار فجأة عند تعرضه للخطر. لم يكن الانضباط الروماني والكبرياء (أو الغطرسة) ليسمحا بمثل هذا الجبن، وكان الجنود الرومان يعلمون أن العقاب سيكون سريعًا ووحشيًا. بالإضافة إلى ذلك، عندما قاتلت الفيالق الرومانية ضد الكتيبة المقدونية في النهاية، كان النصر من نصيب الأول³⁷.

لاحظ أيضا أن سلوك الإسكندر في المعركة كان غير مسؤول، وعرض أهم عنصر في جيشه، أي نفسه، لخطر لا داعي له. عاداته في الاندفاع عبر ساحة المعركة على رأس فرسانه المرافقين، رغم شجاعته (أو بالأحرى تهوره)، أدت إلى إصابته بجروح متكررة، وليس بسبب الحظ فحسب. يمكن القول إن الانتصارات المعتمدة بالدرجة الأولى على الحظ لا يمكن اعتبارها انتصارات لامعة. قارن هذا بدقة الساعة التي ميزت عملية الطوق المزدوج والإبادة لأقوى جيش روماني في كناناي، وهي عملية لم تترك للحظ سوى القليل، إن وجد، ولا تزال تدرس في الأكاديميات العسكرية حول العالم حتى اليوم.

من حيث المزاج الشخصي، وهذا من تخصص الباحث، فيرى أن الإسكندر كان في الأساس مصابا بجنون العظمة قاتل من أجل المجد الشخصي والعظمة، بينما كان حنبل وطنيا انخرط في الحرب للدفاع عن وطنه وتحرير المظلومين. فلماذا يعتبر الإسكندر متفوقا على القائدين العظيمين؟ الجواب بالطبع، هو أن الإسكندر الأكبر لم يهزم قط (مع أن الدراسات الحديثة شككت في انتصاراته المزعومة على جيوش الهند)، بينما حنبل، رغم انتصاراته الأولية في إسبانيا، وما تلاها من 16 عامًا من حملات دون هزيمة في إيطاليا (محققا عشرات الانتصارات المهمة رغم انقطاع إمداداته وقلة إمداده من قرطاج)، مُني بهزيمة واحدة ونهائية، في ما يُسمى معركة زاما. إلا أن الأبحاث الحديثة أشارت إلى تناقضات عديدة في الرواية الرومانية للمعركة المزعومة، والتي من المؤكد أنها لم تقع كما وصفها بوليبيوس وغيره من المصادر الدعائية.

³⁷ <https://thehistoryherald.com/articles/ancient-history-civilisation/hannibal-and-the-punic-wars/alexander-the-great-and-hannibal-barca-a-comparison/March 9, 2017 Vu>
le : 26.07.2025 à 15h10

في الختام، فإنّ الادعاء بأن الإسكندر كان أعظم القائدين لأنه لم يُهزم قطّ بينما خسر هانيبال في معركة زاما، هو ادعاء غير صحيح. فمع عدم هزيمة كلا القائدين العظيمين، لا شكّ في أن هانيبال يتفوق عليهما، من حيث نجاحاته في المعارك، ونوعية الأعداء الذين هزمهم، والدوافع والمزاج وراء انتصاراته العسكرية

8. مقالات الباحث وأعماله حول حنبعل والحروب البونبة

فيما يلي أعمال الباحث الأكاديمية و حواراته الصحفية حول حنبعل . لابد من الإشارة إلى أن الباحث أسس في منزله الخاص أكبر مكتبة مهداه للدراسات حول حنبعل، يقول الباحث أنها تحوي أكثر من 11222 مرجعا بين مصادر و مقالات و مؤلفات و خرائط و حوارات صحفية، وأطاريح و مؤلفات أدبية كلّها تعنى بالشأن العسكري للحروب التي خاضها حنبعل.

Mosig, Y. (2022). "The road to Zama: The heroization of Scipio and the betrayal of Massinissa." In Abdelaziz Belkhodja, *Hannibal: The true story and the deception of Zama*. Tunis, Tunisia: Apollonia Editions, 195-209.

Mosig, Y. (2022). "The trouble with Zama: Paradox, smoke and mirrors in an ancient battlefield." In Abdelaziz Belkhodja, *Hannibal: The true story and the deception of Zama*. Tunis, Tunisia: Apollonia Editions, 211-222.

Mosig, Y. (2021). Borges, Cartago y Aníbal. *La Historia Viva* 4/2021, 7-9.

Mosig, Y. (2021). El mejor general: Alejandro Magno o Aníbal? *La Historia Viva* 4/2021, 11-12.

Mosig, Y. (2020). Hannibal, eine faszinierende Persönlichkeit. In R. Opelt, *Hannibal vor Rom: Die friedliche Antike*. Salzburg, Lambach, Germany: S.A.W. Verlag, 7-15.

Mosig, Y. (2018). Los proboscidios de Aníbal: Problemas con las fuentes clásicas. *Navegantes* 29:1, 11-15.

Mosig, Y. (2017). La batalla de Zama, ¿realidad o fantasía? *Navegantes* 28:1, 45-51.

Mosig, Y. (2017). Zama: The battle that never was? *All About History*, 50: May, 2017, 38.

Mosig, Y. (2017). Interview with El Watan. *El Watan*, Tunisia,

Mosig, Y. (2016). Las victorias de Anibal y el mito de Capua. *Navegantes*, 27:1, 35-37.

Mosig, Y. (2016). Review of *Hannibal: A Hellenistic Life*, by Eve MacDonald. *Michigan War Studies Review* 2016-002, 1-5 (www.miwsr.com/2016-002.aspx).

Mosig, Y. (2015). La decisión de Aníbal. *Navegantes*, 26:1, 39-43.

Mosig, Y. (2015). Cannae aftermath: The Maharbal Myth. In J. Dolfen, *Beyond Cannae*. Julich, Germany: Cresswell-Jones. 24-28.

Mosig, Y. (2015). The myth of Hannibal's oath. In J. Dolfen, *Beyond Cannae*. Julich, Germany: Cresswell-Jones. 41-43.

Mosig, Y. (2014). El mito del juramento de Aníbal. *Navegantes*, 25:1, 37-39.

Mosig, Y. (2013). Prólogo. In L. Fernandez-Montesinos, *Aníbal el rayo de Cartago*. Granada, Spain: Ediciones Dauro. 9-16.

Mosig, Y. (2010). Review of *The ghosts of Cannae: Hannibal and the darkest hour of the Roman Republic* by Robert L. O'Connell. *The Journal of Military History*, 74:4, 1261-1263.

Mosig, Y. (2009). The Barcids at war: Historical introduction. *Ancient Warfare*, 3:4, 6-8.

Mosig, Y., & Belhassen, I. (2007). Revision and reconstruction in the second Punic War: Zama-whose victory? *The International Journal of the Humanities*, 5(9), 175-186.

Mosig, Y., & Belhassen, I. (2006). Revision and reconstruction in the Punic Wars: Cannae revisited. *The International Journal of the Humanities*, 4(2), 103-110

9. الخاتمة

على مدار عشرين سنة، كرّس الباحث موسيغ وقته لدراسة شخصية حنبعل و حروبه ضد روما مجتهدا في قراءة و نقد المصادر التاريخية التي تحمل معلومات عنه، يقول الباحث عن نفسه أنه مؤرخ نفسي بالأساس، يحاول فهم دوافع الشخصيات التاريخية. ليس فقط حنبعل والقادة الرومان خلال الحروب بين قرطاجة وروما، بل أيضا المؤرخين الذين كتبوا القصة، وخاصة بوليبيوس وليفيوس يعتبر الباحث أن الكبرياء الروماني عند ليفيوس و غيره هو من جعلهم يكرهون الرجل الذي كاد يُخضع روما، مُدلاً الفيالق الرومانية المتعطّسة بهزيمتها مرارا وتكرارا على مدار ستة عشر عامًا من الحرب، وكاد أن ينجح في وقف توسع روما الإمبريالي خارج شبه الجزيرة الإيطالية. وقد برزت كراهية الرومان

لهانيبال بسهولة في صورة افتراض مفاده أن هانيبال، وليس الرومان، هو من كان مدفوعاً بالكراهية. لم يكن هذا مجرد آلية دفاع نفسية لا وعية من جانب ليفي وغيره من المؤرخين المؤيدين للرومان، بل كان جزءاً من حملة تضليل مُدبرة بعناية تهدف إلى تحميل حنبعل مسؤولية بدء الصراع، حيث صُوّر "عدوانه"، الذي تجلّى، كما يُزعم، في حصار ساغونتوم وغزوها، على أنه نابع من كراهيته الشديدة للمدينة ونهر التير وسكانها. إلا أن الفحص الدقيق للأدلة المتوفرة يُلقي بالمسؤولية عن بدء ما يُسمى بالحروب البونيقية الثلاث على أبواب روما.

إن الادعاءات التي تفيد بأن حنبعل لم يفز بأي معارك أخرى بعد كاناي لأن الرومان خاضوا حرب استنزاف متجنبين الاشتباكات الكبرى، وأن جيشه قد ضعف بسبب الشتاء بين ترف كابوا، غير صحيحة. لقد حقق هانيبال المزيد من الانتصارات في كل مرة أصبح فيها أحد القادة الرومانيين متغطرساً بما يكفي ليعتقد أنه يستطيع مواجهة البارقيين.

بينما حنبعل، رغم انتصاراته الأولية في إسبانيا، وما تلاها من 16 عامًا من حملات دون هزيمة في إيطاليا (محققًا عشرات الانتصارات المهمة رغم انقطاع إمداداته وقلة إمداده من قرطاج)، مني بهزيمة واحدة ونهائية، في ما يسمى معركة زاما. إلا الباحث و على غرار ثلة من الباحثين الآخرين أشاروا إلى تناقضات عديدة في الرواية الرومانية للمعركة المزعومة، والتي من المؤكد أنها لم تقع كما وصفها بوليبيوس وغيره من المصادر الدعائية.

القدرات التكتيكية في الحرب لدى حنبعل، إنسانيته في التعامل مع الأصدقاء و الأعداء، و مشروعه التحرري جعل الباحث موسيغ ينتقد من يجعلون من الإسكندر المقدوني ندًا أو متفوقا عن حنبعل في رحلة البحث عن أعظم جنرال حربي في التاريخ القديم. حيث يرى أنه لا سبيل للمقارنة و أن حنبعل بدون منازع هو أبرز شخصية حربية في التاريخ القديم و الوسيط.

3. بيبليوغرافيا:

1- قائمة المصادر:

- 2- Polybius (Patton translation). *The Histories* (Loeb Classical Library). Harvard.
- 3- Polybius (Paton, trans.) *The Histories* (Loeb Classical Library). Harvard.
- 4- Livy (Foster, trans.). *History of Rome: Books 21-22*

5- قائمة المراجع:

- 1- Seibert, J. Hannibal. Darmstadt, Germany: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1993.
- 2- Belkhodja, A. Hannibal Barca: L'histoire veritable. Tunis: Apollonia, 2012
- 3- Belkhodja, A. Hannibal Barca: L'histoire veritable et le mensonge de Zama. Tunis: Apollonia, 2014

- 4- Belkhouja (A.), Hannibal Barca, l'histoire véritable et le mensonge de Zama, éd. Apollonia, Tunis, p. 186.
- 5- Gsell (S.), H.A.A.N., t3, pp. 260-261

-

6- المجلات والدوريات:

¹- عزالدين مجاني، رؤى نقدية حول روايات بوليبيوس و ليفيوس لمعركة زاما، مجلة

العبر للدراسات التاريخية و الأثرية في شمال إفريقيا، مج07، ع1، جانفي 2024،

صص 24-42

- 2- Benchaouch (A.), « Zama. », In: Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France, 1995, 1997. pp. 42-43
- 3- Déroche (L.), « Les fouilles de Ksar Toual Zammel et la question de Zama (Vicus Maracitanus). », In: Mélanges d'archéologie et d'histoire, tome 60, 1948. pp. 55-104; A. E., 1949, 108 **109** و.
- 4- Ferjaoui (A.), « Localisation de Zama Regia à Jama (note d'information) », In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 146^e année, N. 3, 2002. pp. 1003-1017;
- 5- Mozig (Y.) et Belhassen (I.) , « revision and reconstruction in the seconde Punic war : Zama, whose victory ? », in the International Journal of Humanities, 2007, pp. 175-186.
- 6- Hurst (H.) et Stager (L.E.), 1978 : H. Hurst, L.E. Stager, « A Metropolitan Landscape : The Late punic Port of Carthage »,in : World Archaeology, 9.3, pp. 334-346.
- 7- Hurst (H.), 1992, « L'îlot de l'Amirauté, le port circulaire et l'avenue Bourguiba », dans ENNABLI (dir.), pp. 79-94. p. 85 ; Hurst et Stager, 1978, p. 334-337

7- الأطاريح:

Carayon (N.), Les ports phéniciens et puniques géomorphologie et infrastructures, thèse de doctorat en sciences de l'antiquité – archéologie dirigée par m. le professeur Thierry petit, volume i , université Strasbourg ii – marc bloch u.f.r. des sciences historiques, 2008, p. 417 .

8- مواقع الإنترنت

- 9- <https://thehistoryherald.com/articles/ancient-history-civilisation/hannibal-and-the-punic-wars/new-perspectives-on-the-battle-of-cannae/> September 21, 2015 Vu le 19.07.2025 15h36
- 10- <https://thehistoryherald.com/articles/ancient-history-civilisation/hannibal-and-the-punic-wars/>

the-punic-wars-kriegsschuldfrage -and-the-question-of-the-just-war/
May 24, 2013 , vu le 21. 07. 2025 à 14 :46

- 11- <https://thehistoryherald.com/articles/ancient-history-civilisation/hannibal-and-the-punic-wars/hannibal-barca-a-biographical-sketch/> October 1, 2015 vu le 19.07.2025. à 21 : 26
- 12- <https://thehistoryherald.com/articles/ancient-history-civilisation/hannibal-and-the-punic-wars/understanding-cannae-hannibal-s-orders/> October 27, 2015, Vu le : 17.07 . 2025 à 23H.
- 13- <https://thehistoryherald.com/articles/ancient-history-civilisation/hannibal-and-the-punic-wars/the-trouble-with-zama-paradox-smoke-and-mirrors-in-an-ancient-battlefield/>December 19, 2012 Vu le : 24.07.2025 à 13h41
- 14- <https://thehistoryherald.com/articles/ancient-history-civilisation/hannibal-and-the-punic-wars/hannibal-victories-of-the-great-hero-from-ancient-carthage/> December 19, 2018, vu le 22.07.2025 à 16h48
- 15- <https://thehistoryherald.com/articles/ancient-history-civilisation/hannibal-and-the-punic-wars/alexander-the-great-and-hannibal-barca-a-comparison/>March 9, 2017 Vu le : 26.07.2025 à 15h10